استيطان الجولان في العصور القديمة حتى العصر الحديدي

د. عمار عبد الرحمن*

الملخص

تقع منطقة الجولان في منطقة جغرافية مهمة، إذ تصل منطقة جنوبي المشرق العربي القديم مع شماله، كما أنها المعبر من ساحل البحر المتوسط إلى الداخل السوري. وهذه المنطقة تحمل الميزات الثقافية وسمات المناطق الأخرى القريبة، فهي مستوطنة منذ العصور القديمة، شأنها شأن المناطق الأخرى في جنوب-شرقي سورية، وشمالي فلسطين وشمال –شرقي الأردن. وقد أضافت هذه المنطقة طابعاً محلياً إليها، إذ أظهرت مكتشفات من العصر النحاسي لقى لرؤوس تماثيل غير معروفة في مناطق أخرى من أجل استخدامها في الممارسات الطقسية. كما أن لقبور الدولمن الموجودة بكثرة في الجولان أثراً كبيراً في تأكيد هوية الجولان الحضارية بأنها جزء من تاريخ يتكامل مع تاريخ بلدنا.

* قسم التاريخ- كلية الآداب- جامعة دمشق

يقع الجولان بين خطي الطول 35 درجة و6 دقائق و35 درجة و56 دقيقة شرق غرينتش، وبين خطي عرض 32 درجة و40 دقيقة. و33 درجة و15 دقيقة شمال خط الاستواء، وهذا يجعل منطقة الجولان في نطاق المنطقة المدارية، ويشكل هضبة متطاولة يحدها البحر المتوسط من الغرب، والبادية السورية شرقاً. وبين جبل الشيخ شمالاً، وهضاب ومرتفعات عجلون جنوباً.[1]

إن وقوع الجولان في ما اصطلح على تسميته "الانهدام السوري-الإفريقي" أدى إلى انسكاب الحمم البركانية في هذه المنطقة الهشة، وغطت الصخور البازلتية القشرة العلية التي وصلت ثخانتها إلى 200-350م في الشرق[2]. ويمكن استثناء الأطراف في الجنوب والغرب. ويمكن تقسيم الجولان إلى قسمين هما الجولان الأعلى في الشمال الشرقي والشرق، بمتوسط ارتفاع يراوح بين 600-950م فوق سطح البحر، والجولان الأدنى الواقع دون ارتفاع 600م.

وتتشكل أودية صغيرة في الشمال والشرق وهي عميقة وتصب في نهر الأردن وبحيرة طبرية في الغرب، أو في وادي اليرموك في الجنوب.

ويسود الجولان مناخ متوسطي وتتركز أمطاره في فصل الشتاء ثم في الخريف والربيع، وهي غزيرة يراوح متوسطها السنوي بين 1000مم في الشمال والمرتفعات، و400-700مم في الجولان الأدنى. كما تهطل الثلوج في المستويات ما فوق 500م. وعلى الرغم من غنى الجولان بالأمطار لكنه يفتقر إلى الأنهار الدائمة، باستثناء نهر الأردن ونهر اليرموك، وسيول وادي الرقاد والسعار التي لا يستفاد منها كثيراً لأنَّها تقع على الأطراف.

---

1 عبد السلام، عادل، جغرافية الجولان وآثار إعماره، مجلة مهد الحضارات العدد 3-4 (2007)، ص.57.

2 المرجع نفسه، ص.58.

أثرت الطبيعة البازلتية للسطح الجيولوجي والمناخ في النبات والحيوان، وذلك باقتصار الغطاء النباتي على النباتات العشبية وتقل المساحات الصالحة للزراعة وبشكل خاص في الجولان الأعلى، في حين تتسع بشكل أفضل الأراضي الزراعية في الجولان الأدنى. وتنمو أشجار في بقاع محددة وأغلبها من أشجار البطم والسنديان والبلوط والزعرور. وهذا يجعل من الجولان منطقة ملائمة تماماً للرعي.

تاريخ الاستكشاف والتنقيبات الأثارية:

كانت منطقة المشرق العربي القديم هدفاً لأوائل المستكشفين الأوربيين بدعم من مؤسسات مختلفة، وخاصة إلى منطقة فلسطين و الجولان. ولم تكن دوافع هؤلاء واحدة ولكن يمكن وضع محور عام لها، يتجلى بمحاولة إيجاد دلائل على الواقع؛ مما ينسجم مع الروايات التوراتية.

وكان أول الرحالة هو الطبيب الألماني أولريش سيتزن U Seetzen الذي قام في عام 1805م بالسفر إلى دمشق وبدأ برحلة إلى جبل الشيخ ومنابع الأردن منتحلاً شخصية طبيب يدعى موسى الحكيم[3]. وقد وثق سيتزن لقاءاته مع أصحاب الأملاك والباعة المتجولين والخدم، وروى مشاهداته في الأسواق والخانات، وقد جهد في زياراته للقرى والبلدات على أن يطابقها مع الأماكن الواردة في العهد القديم.

وقد شجعت تجربة سيتزن بعض المؤسسات مثل "رابطة فلسطين" بتمويل سويسري لرحالة جدد مثل لودفيغبوركهارتL Burkhart الذي انتحل شخصية أطلق عليها اسم الشيخ ابراهيم عبد الله لأنَّه يجيد اللغة العربية الذي ابتدأ رحلة إلى الجولان ووثق المدن والمناطق وتابعيتها[4] وخاصة ضفتي الأردن الشرقية والغربية.

3 خلف، تيسير، استكشاف الجولان 1805-1880م، ص.12

4 المرجع نفسه، ص61

في الربع الأخير من القرن التاسع عشر بدأ اهتمام مؤسسات أمريكية بدعم الاستكشاف، فقد أوفدت المدرسة التوراتية الأمريكية سيلاه ميريل S Merrill ليبحث عن المواقع التوراتية على أرض الواقع، ولكن المدهش أن ميريل وبعد اطلاعه على أرض الواقع أبدى أفكاراً معارضة لما أرسل من أجله، وحتى أنه أصبح من أشد المعارضين للاستيطان اليهودي الزراعي الذي بدأ حينها في تلك المنطقة. استطاع ميريل أن يقدم معلومات جغرافية مهمة ودقيقة نشرها في كتابه Eastern Jordan"شرقي الأردن".

لم تظهر ملامح جديدة للاستكشاف حتى احتلال الجولان في العاشر من حزيران 1967م من قبل جيش الاحتلال الإسرائيلي، حين بدأت أعمال تنقيب غير شرعية عن آثار الجولان وعناصرها هم إسرائيليون أرادوا كتابة تاريخ جديد للمنطقة من خلال مفهومهم الإيديولوجي، وقاموا بحفظ معظم الآثار التي كُشِفَ عنها في متحف الجولان في قصرين.

وكانت كلير ايبشتاينC Epestein أول من قام بعملية مسح أثري بين عامي 1967-68م وشملت الدراسة مئتين وتسعة معلماً أثرياً. ولاحقاً تعاونت ايبشتاين مع شميريهغوتمانS Gottman في الإشراف على عدة تحريات أثرية في مدافن الدولمن ومواقع أخرى تعود للعصر الحجري النحاسي، وغيرها.

الاستيطان في العصر الحجري النحاسي:

شهدت منطقة الجولان تغيرات مناخية خلال العصر الحجري الحديث؛ مما أدى إلى انتقال الاستيطان في ذلك العصر، ولكن مع ظهور بوادر التحسن المناخي خلال الألف الخامس أو ما يطلق عليه اصطلاحاً "العصر الحجري النحاسي" بدأ الاستيطان على شكل قرى وبشكل خاص في مناطق الهطولات المطرية الجيدة ولاسيما المنطقة البركانية وجنوب و شمال منطقة الجولان(الشكل 1). وقد أشارت

بعض اللقى العظمية إلى وجود العديد من الحيوانات مثل الماعز والغنم بالدرجة الأولى، وكذلك البقر والخيول والحمير[5].

وقد أحصي نحو 25 موقعاً من العصر الحجري النحاسي مثل موقع أبو فولة، ودير سراس، وتل بزوق، وقبة قرعة، وعين الحرير، ورسم خربوش، وكذلك رسم الكبش[6]. وقد أكد تأريخ لقى من هذه المواقع وفقاً لتأريخ الكربون المشع 14[7]أن الاستيطان يعود إلى أواخر الألف الخامس وحتى بداية الألف الرابع ق.م. واتخذ هذا الاستيطان أشكال القرى غير المحصنة[8]وأغلبها كان يغطي منطقة واسعة، وراوح عدد البيوت في كل موقع منها من 40 بيتاً في الحد الأعلى، حتى 15 بيتاً في الحد الأدنى، ويمكن أيضاً ملاحظة قرى منفصلة.

عمارة هذه البيوت اتخذت نموذجاً متميزاً تمثل في البيوت المتتابعة على خط واحد، وكان يفصل بينها جدران فقط (الشكل 2)، ومتوسط أبعاد هذه البيوت 15*6م[9] مدخلها من جهة الجنوب عن طريق درج وكان يجري التقسيم الداخلي بفراغات مشكلة غرفاً صغيرةً على الجانب الغربي أبعادها 1*1.9م في الغالب، ورصفت الأرضيات بأحجار غير مشذبة[10]. وقد أمنّ صغر القطاعات التي تحملها السقوف إمكانية تغطيتها بالقصب ومن ثم بالجلود، وقد كانت أشكال هذه السقوف مستوية وأحياناً على شكل جملون. ويلاحظ عدم وجود ساحات داخلية، ولكن كشف في بيتين فقط عن وجود ساحتين مجاورتين لهما.

5 C. Epistein , Judaea Samaria and the Golan Archaeological Survey 1967-68, p.531

6 عبد الرحمن ، عمار، الاستيطان في منطقة الجولان منذ أقدم العصور وحتى العصور القديمة، مركز الباسل للبحث والتدريب الأثري، في الندوة الدولية لآثار الجولان، ص.94.

7 C.Epistein, p.531

8 C.Epistein, ibid, p.529

9 Loc.Cit

10 عبد الرحمن، عمار، المرجع السابق

لم يكن نمط العمارة السابق هو الوحيد بل عثر على عمارة مختلفة في موقع عين الحرير، حيث جرى البناء بالحجارة التي ما زالت جدرانها قائمة حتى 1م ، وهي مقسمة إلى قطاعين طول كل واحد منهما 7م[11].

كانت الصناعة الحجرية في هذه المواقع مشابهة لمواقع معاصرة لها من فلسطين والأردن وسورية (أبو مطر، شقميم، أبو حامد، وتليلات الغسول)، وغالبية اللقى يمكن حصرها في المجموعة الآتية: القدوم Adzes، والأزاميل Chisel، ومناكيش Picks (المتطاول ذو الرأس المثلث)، والملاحظ أن هذه الأدوات قد صنعت بتقنية عالية[12]. كما ضمت الأدوات الحجرية المقاشط Scraper بأنواع مختلفة مثل المقاشط العلوية والمقشط المسنن Denticulated-Scraper الذي ميز بشكل خاص شمالي الجولان[13] فضلاً عن أدوات أخرى ربما كانت محلية ومميزة لمنطقة الجولان، وهي أدوات قرصية لها أشكال مختلفة مثل الشكل النجمي وله قاعدة مقعرة، ومنها ما ليس له قاعدة مستقيمة (الشكل 3).

لم تمنع البيئة البركانية للجولان أن يعثر على أدوات منزلية مصنعة من البازلت مثل طاسات من أحجام مختلفة ذات شكل دائري وبيضوي وعلى شكل ورد (ويطلق عليه نموذج الورد)[14](الشكل 4)، وأدوات أخرى مثل الأجران ومدقاتومجاريش وأحجار طحن، مما يدل على مزاولة الزراعة الذي دلت عليه دراسة البقايا النباتية التي أشارت إلى وجود البازلاء، والعدس، والحمص الجبلي، ولكن الملفت للانتباه عدم وجود كميات كبيرة من القمح المزروع[15].

11 Z. Kafafi, The Chalcolithic Period in the Golan Heights: A Regional Or Local Culture, in History and Antiquites of Al-Golan, The Directorate General of Antiquities and Museums in Syria, p.72
12 ,Ibid, p.76
13 C. Epistein, Op.Cit, p.531
14 Z. Kafafi, Op.Cit, p.77
15 Ibid

ضمت مواقع العصر الحجري النحاسي نماذج متعددة من الأدوات الفخارية، وغالبيتها مصنعة باليد، مع نسبة قليلة مصنعة بالدولاب خاصة فيما يتعلق بالجرار الكبيرة لتخزين الزيت. وقد تنوعت الجرار من أحجام متوسطة، وطاسات وجرار مثقوبة الشفة، وقدور فناجين. وغالبية هذه الأواني مزينة بشريط مطبوع بقلائد، وبعضها الآخر محزز. والملفت للانتباه عدم وجود ورشات خاصة لتصنيع الفخار في كل ما نقب في هذه المواقع؛ مما يقود للاعتقاد أن التصنيع كان يجري في المنازل أو بالقرب منها[16]. ويمكن مقارنة هذا الفخار بمواقع من وادي الأردن.

المعتقدات والممارسات الطقسية:

في ظل غياب الكتابات والنقوش التي يمكن أن تفصح عن كثير من المعتقدات الدينية والممارسات المتبعة، قدمت بعض اللقى إشارات يمكن أن تشير إلى هذا الجانب المهم لمجتمعات العصور القديمة، وتتمثل بتماثيل بازلتية اسطوانية الشكل منحوتة على هيئة الوجه الإنساني (الشكل 5) وتنتهي من الأعلى بطاسة، وهي على نموذجين الأول يراوح طوله بين 19-30سم وأقطاره بين 15-24سم وتحمل قرون ماعز[17]، وعثر عليها في مواقع رسم الخربوش، ورسم الكبش، وخسفين، وسلوقيا وعين الحرير، أمَّا النموذج الثاني فأبعاده تأخذ الارتفاع نفسه ولكن يختلف قطرها الذي يراوح بين 11-20سم، وهي من دون قرون، ولكنها في بعض الأحيان تحمل لحى. وقد بلغ عدد هذه التماثيل نحو 50 تمثالاً[18] وعثر عليها جميعاً في البيوت ولكن وإن خلا بعض هذه البيوت لكن بعضها الآخر ضم أكثر من تمثال، وكانت توضع على رفوف أسفل الجدار، وهذا ما يشير إلى أنها كانت عنصراً أساسياً في إقامة

16 C. Epistein, Op.Cit, p.530

17 أبو عساف، علي، مذكرة حول الدراسات في الجولان المحتل، 1992، ص.4

1818C. Epistein, Loc.Cit

طقوس وعبادات بيتية. وقد مثلت شبيهات للوجه الحجري على أوانٍ فخارية وخاصة الطاسات المثقوبة؛ مما يؤكد أهمية هذه التمثيلات في معتقداتهم.

الجولان في العصر البرونزي

العصر البرونزي الباكر :

بعد نهاية العصر الحجري النحاسي في الجولان حدث هجران قصير للمواقع، ولكن هذا الأمر لم يدم طويلاً، إذ بدأ الاستيطان مع بداية العصر البرونزي الباكر I (نهاية الألف الرابع ق.م) ولكن بشكل قليل ولم يعثر إلا على ثلاثة مواقع بالقرب من وادي اليرموك في جنوبي الجولان[19].

وفي العصر البرونزي الباكر II انتعش الاستيطان وبدأت هذه المواقع باتخاذ أنماط تحصينية ودفاعية[20] وأحيط بعضها بأسوار ضخمة كما في تنزاحيكيوالشعبانية والصور، وبالمجمل حُدِّدَ 27 موقعاً توزعت في منطقة الجولان كالآتي: 4 في الجنوب، و12 موقعاً في الوسط، والبقية في الشمال.

استمر الاستيطان في المرحلة اللاحقة البرونزي الباكر III في مواقع جديدة كما في خربة كرك، وعين قنية حيث عثر على طبعات أختام من الفخار[21]، وموقعين مجاورين لعين الرحمن في شمالي الجولان.

العصر البرونزي الوسيط:

إن توسع الاستيطان واستمراريته من البرونز القديم والوسيط جعل منطقة الجولان من الأهمية بمكان أن تتوسع بعلاقاتها مع المحيط القريب والبعيد، فقد أتت دلائل من رسائل العمارنة في مصر تشير إلى الجولان ووردت بالرسالة رقم 256

19 عبد الرحمن ،عمار، المرجع السابق، ص.95

20 المرجع نفسه، ص.96

21 C. Epistein, OpCit, p.532

كما يأتي:"مدن بلاد جا(شو)رو"[22] هذه الرسالة كانت قد أرسلت من قبل أمير بيلا (فيلا) وهي خربة فحل الحالية في غور الأردن إلى المفوض المصري في كنعان، وفيها يشتكي من أن مدن أدّومو (أذورو)، مشقو ، مجالو، عينوأنابو، زرقو قد ثارت عليه فهبت لمساعدته مدينة عشتروت (تل عشترة حالياً في حوران).

ويعزز مضمون نص الرسالة السابقة أن الاستيطان في الألف الثاني ق.م قد توسع وخاصة في جنوبي الجولان، ووثِّقَ 25 موقعاً أثرياً خلال مسوحات السبعينيات من القرن الماضي في المنطقة المحتلة فقط، ولكن المكتشفات في المناطق السورية قد تتالت وبينت مواقع أخرى وكشف في بعضها فؤوس برونزية مثقوبة في جنوبي الجولان، كما عثر على طاسات فخارية بعضها ملون وهي مشابهة لمواقع حاصور، وحينة[23].

ولكن من الملاحظ وجود كثير من المدافن والقبور الحجرية التي يطلق عليها "الدولمن" وهي نماذج تفردت بها المنطقة في فترة البرونز الوسيط، وهي بحسب تفسير الباحثين تعدُّ دليلاً على استيطان مجموعات متنقلة من البدو الذين لم يهتموا ببناء مراكز استيطان بقدر ما اهتموا ببناء مساكنهم الأخيرة[24]، وكشف عن المئات من هذه القبور، ونظراً إلى تنوعها نبين تفاصيلها كالآتي:

قبور الدولمن:

إن كلمة دولمنDolmen مؤلفة من قسمين يعودان إلى اللغة البريتونية القديمة Old Breton وهما : dol وتعني طاولة، وmen وتعني حجر، وبهذا يكون المعنى "طاولة

22 عبد الرحمن ، عمار، المرجع السابق

23 حمود، محمود، مدافن الكروم (حينة)، مركز الباسل للبحث والتدريب الأثري، في النـــدوة الدوليـــة لآثار الجولان، ص.86.

24 C. Epistein, Loc.Cit

الحجر" إشارة إلى هذه المدافن في شكلها البدائي، وهي عبارة عن أحجار تُنظَّمُ بشكل عمودي وأخرى أفقية بحيث تحدث فراغاً يتم الدفن فيه.

وقد نحتت الأحجار اللازمة للدولمن من الحجر البازلتي المتوافر في المنطقة، الذي كان ينقل على شكل كتل ضخمة تزن في بعض الأحيان أكثر من طن.

وقد استخدمت تقنية بسيطة في البرونز القديم، لكنها ما لبثت أن تطورت في البرونز الوسيط، وأصبحت ميزة لازمت ذاك العصر. فقد راجت لاحقاً مدافن دولمن من الحجم الوسط بأبعاد 1.5*1.5*3.5م وهي تكون محاطة بركام دفني دائري الشكل[25]، وسقوفها تتألف من قطعة كبيرة غالباً ما تستند إلى سقف حجري صغير فوق المدخل.

ويوجد كذلك ما يسمى "الدولمن المستودع" Tank Dolmen حيث حجرتها الأساسية تبلغ أبعادها 7*1.5م، ويحاط كذلك الأمر بركام ذي شكل بيضوي، ويتميّز هذا النوع بوجود أبراج في الأرض المحيطة، يصل ارتفاعها من 3 وحتى 4م، وبنيت سقوفها من أحجار كبيرة وضعت بشكل أفقي واحدة فوق الأخرى. ويمكن لحظ هذا النوع من الدولمن في شمال-غربي بحيرة طبرية.

وبشكل عام في أنواع الدولمن كلّه يرتفع الركام tumulus نحو 2-3م عن الأرضية المحيطة من أجل ضمان سلامة المدفن وتمييزه.

وقد عثر في الأنواع البسيطة من الدولمن على مرفقات جنائزية غالبيتها من الفخار مثل قصاع أكتافها حادة، وقوارير، وأباريق أكعابها مسطحة، وكؤوس أكعابها على شكل البوق تستخدم في المناسك؛ وهذا يدلُّ على ممارسات طقسية خاصة بوجود عظام حيوانات بجانب تلك الفخاريات.

25 C. Epestein, Op.Cit, 532

ولا بدَّ من الإشارة أخيراً إلى إمكانية استخدام مدافن الدولمن كمدافن في عصور لاحقة. ومن أجل بيان أفضل لمدافن الدولمن يمكن إيراد بعض النماذج المكتشفة ومقارنتها، ونبدأ هنا بموقع اكتُشِفَ في السنوات القليلة الماضية وهو في تل الكروم.

تل الكروم :

يقع إلى الشرق من بلدة حينة على سفوح جبل الشيخ الشرقية على أطراف حوض نهر الأعوج الأعلى.

تم العثور على مدفنين من عصر البرونز الوسيط في تربة رسوبية مشابهة (كونغلوميرا). وقد دفن في الأول قرابة العشرة أشخاص، أمَّا الثاني فقد زاد على الخمسة عشر شخصاً[26]. وقد حفر المدفنان وفق مخطط شبه دائري بقطر 3-3.5م، وارتفاعه حتى سطح الأرض 275، وقد تعرض لتخريب من قبل الناس المحليين مما أدى إلى ضياع تفاصيل مهمة عن عمارتهما.

وقد وفرت لنا اللقى الفخارية معلومات موثقة عن عصر المدفنين (العصر البرونزي الوسيط)ومن أهم الأواني الفخارية أباريق ذات شكل كروي مصنوعة بدقة غالبيتها مصقولة وبيضاء اللون مع عدد قليل ذي عجينة سوداء يحمل زخارف أغلبها دوائر حلزونية، ولها قاعدة قرصية (الشكل 6)؛ ومن المعلوم أن هذا النوع من الفخار قد انتشر في وسط سورية وغربها وجنوبها في مواقع إيبلا، وأوجاريت، وتل عشترة[27]، ونبع الصخري في الجولان، وتلول الفار في غوطة دمشق، وأيضاً في أريحا[28] وتل فرح ومجيدو في فلسطين، وفي تل اليهودية، وتل الضبعة في مصر.

26 حمود، محمود، المرجع السابق، ص.80.

27 أبو عساف، علي، تل عشترة ، الموسم الأول 1966، في الحوليات الأثرية العربية السورية مـــج 18، 1968، ص.150.

28 K. Kenyon, Holland T, Excavatio at Jericho, vol 4, London 1982, pp.431-434

موقع خربة لاوي:

وهي امتداد لموقع لاوية إلى الشرق من بحيرة طبريا، وتفصله عنها سلسلة من الرجوم الحجرية، ويتألف من مدفني دولمن متشابهين، وفخاره مشابه في جزء منه للعصر البرونزي الوسيط[29]. وكشف عن لقى أخرى في هذا الموقع وأغلب المواقع الأخرى العائدة للحقبة نفسها، عن لقى أخرى معدنية غالبيتها من النحاس مثل دبابيس ومسامير وأساور، وخواتم وأسلحة وخنجر ورؤوس سهام[30].

موقع أبو الفول:

ويقع في منطقة الجولان وكشف فيه عن عظام حيوانية وأوانٍ فخارية مشابهة لموقع تل الكروم في حينة (الأباريق ذات الأكعاب المسطحة) وكؤوس قواعدها على شاكلة البوق تستخدم في المناسك التي تجري حين تقدمة الأضاحي[31]، وهذا ما يفسر وجود عظام الحيوانات معها.

موقع لفيأة:

يقع في منطقة الجولان، ويتألف من مجموعة مدافن دولمن قطرها 4-5م، وارتفاعها نحو متر ونصف عن سطح الأرض. ونظراً إلى حالة الحفظ الجيدة للمدافن فقد وثِّقَ كشف مهم ونادر في المدفن الأول، وهو صندوق الدفن الحجري وبه رجل وامرأة يتجه كل منهما نحو الآخر[32].

أمَّا في المدفن الثاني فقد عثر على ثلاثة صناديق كانت قد فتحت لإضافة عظام تعود لعملية دفن سابقة، ربما لضم رفات عناصر الأسرة الواحدة. وقد ضم هذا المدفن إبريق من الفخار.

---

29 أبو عساف، علي، مذكرة حول الجولان، ص.6

30 C. Epestein, Op.Cit, 533

31 أبو عساف، علي، المرجع السابق،

32 نيشر،ميراف، مدن الجولان القديمة، 1997، ص.12

موقع رجم الهري:

يقع غربي الجوخدار بين أم الطواحين في الجنوب وعين الحرير في الشمال، وهو من المواقع الفريدة نظراً إلى ضخامة منشأة البناء التي أخذت شكلاً دائرياً بقطر 20م، وترتفع 7م. وهي محاطة بثلاثة أسوار يبلغ طول قطر السور الخارجي 156م، وله بوابتان[33].

ونظراً إلى ضخامة البناء وطريقة بنائه الفريدة، فسر بعض العلماء وظيفته على أنها ليست بمدفن دولمن وإنما لغاية رصد النجوم والكواكب أي مرصد فلكي، وعده بعضهم الآخر حصناً.

الجولان في العصر البرونزي المتأخر:

تضاءل الاستيطان خلال هذا العصر واستمر من دون انقطاع حتى الألف الأول، ومن أهم المواقع التي تعود إلى هذه الحقبة موقع تل فيق، وتل الخضر وهي تؤرخ بشكل رئيس من خلال الفخار، ففي موقع فيق (تل السرج) كشف عن جرار فخارية خشنة وملونة ومزينة بخطوط تميّز هذا العصر، وقد ظهر بعض الكسر الفخارية من نوع Bichrom وإحداها يحمل رسماً لطير يأكل سمكة[34]، وهذا يشير بطبيعة الحال إلى علاقات تجارية مع قبرص، كما عثر على قطعة تمثل أشترات وهي ترتدي قناع حتحور.

أمَّا تل الخضر فيقع على الشاطئ الشرقي لبحيرة طبرية إلى الشمال من عين جيف 7كم، وتبلغ مساحته 10 دونمات[35]. ويتميز هذا التل بوجود سورين خارجي

33 أبو عساف، علي، المرجع السابق

34 C. Epestein, Op.Cit

35 عبد الرحمن، عمار، المرجع السابق، ص.96

على أطرافه الخارجية، أمَّا السور الداخلي فهو حول المدينة المرتفعة.ويمكن تحديد الاستيطان من خلال الفخار المكتشف من البرونز المتأخر، حتى عصر الحديد.

نتائج:

بدأ الاستيطان في منطقة الجولان منذ العصر الحجري النحاسي حتى العصر البرونزي، بعد انقطاع في حقبة العصر الحجري الحديث، واستمر بشكل شبه دائم تخللته بعض الانقطاعات، كما حصل مع نهاية العصر الحجر النحاسي وبداية العصر البرونزي الباكر.

وقد بينت العمارة والمكتشفات الأخرى من مواقع الجولان من العصر الحجري النحاسي أنها وإن تمتعت بمحليتها، ولكنها في إطارها العام لم تخرج عن مميزات العصر النحاسي، وأنها كانت تشترك في شكل العمارة مع المناطق المحيطة بها وهي ليست معزولة على الإطلاق.

وهذا التصور عن العصر النحاسي ينطبق على العصر البرونزي ولكن بشمولية أكبر، فمع توسع الاستيطان في منطقة الجولان ظهر تشابه كبير في طرائق العمارة وقد تم من خلال استعراض مدافن الدولمن بوصفها الأكثر توثيقاً للقى الفخارية، أن التشابه كبير مع مواقع أخرى، ويمتد شمالاً حتى أوجاريت ، وجنوباً حتى دمشق وفلسطين والأردن. حتى أنه في العصر البرونزي المتأخر يتوسع حتى قبرص.

إن آثار الجولان في هذه العصور تبرز أهميته وتكامله مع آثار المنطقة بشكل عام، مما يدلُّ على تكامله الحضاري معها ولا يمكن عزله عنها تحت أية أسباب أو مبررات. فقد جهد بعض الباحثين من الكيان الصهيوني في القرن الماضي لبناء خصوصية لهذه المنطقة وأن يخرجوها من إطارها الحضاري للمنطقة، وما لبث هذا الجهد أن تكشف خاصة فيما يتعلق بالعصر الحديدي كي يثبت مزاعمهم بدولتهم المزعومة.

المراجع

1- حمود، محمود، مدافن الكروم (حينة)، مركز الباسل للبحث والتدريب الأثري، في الندوة الدولية لآثار الجولان،2009.

2- خلف، تيسير، استكشاف الجولان 1805-1880م، دار التلوين، دمشق، 2006

3- عبد الرحمن، عمار، الاستيطان في منطقة الجولان منذ أقدم العصور وحتى العصور القديمة، مركز الباسل للبحث والتدريب الأثري، في الندوة الدولية لآثار الجولان، 2009.

4- عبد السلام، عادل، جغرافية الجولان وآثار إعماره، مجلة مهد الحضارات العدد 3-4 (2007).

5- أبو عساف، علي، تل عشترة ، الموسم الأول 1966، في الحوليات الأثرية العربية السورية مج 18، 1968.

6- أبو عساف، علي، مذكرة حول الدراسات في الجولان المحتل، 1992.

7- نيشر،ميراف، مدن الجولان القديمة، 1997.

8- Epistein C, Judaea Samaria and the Golan Archaeological Survey 1967-68.

9- Kafafi Z, The Chalcolithic Period in the Golan Heights: A Regional Or Local Culture, in History and Antiquities of Al-Golan, The Directorate General of Antiquities and Museums in Syria(2009).

10- Kenyon K, Holland T, Excavation at Jericho, Vol 4, London 1982.

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق 2012/5/2.